حصاد 2021

عشاء ليلة رأس السنة عند «لا ماما»

أحوال عامٍ من الثقافة المغربية

جاء النادل بالقهوة وعدتُ حيث توقّفت: «بالنسبة للكتاب، المسألة لم تتغيّر عن السنة الفارطة. لم يحصل الناشرون على دعم. وضعيّتهم الصعبة عقّدتها الجائحة. لكنّ 81% من الإصدارات باتت بالعربية، والفرنسية تقلّصت إلى 16% بعد ان كانت تتجاوز 35%»

جلال الحكماوي

زخّات المطر تضرب بلطف زجاج النافذة. أحلق ذقني على أنغام Kind of blue لمايلز ديفيس. يُنسيني إيقاع الساكسفون والبيانو الساحر آخر لحظات سنةٍ تتركنا متسلّلة على أطراف أصابعها كاللصّ. مع مايلز ديفيس، تبتعد السنتان الملوبوءتان ببطء كلقطةٍ في فيلم لديفيد لينش. كوفيد، وباء، جائحة، ووهان، دلتا، أوميكرون. تعدّدت أسماء هاتين السنتين الأخيرتين لكنّ الإحساس واحد: الذهاب بخطىً ثابتة نحو المجهول. خرجت من البيت متجهاً إلى محطة مطعم لاماما حيث ينتظرني صديقي المسرحي «ع» وصديقتي الكاتبة «ن» العائدة من باريس.

بمروري من شارع الحسن الثاني قرب «متحف محمد السادس للفن الحديث والمعاصر»، حضرتني المعارض المتميّزة للسنة الماضية: معرض المصوّر الفرنسي المعروف هنري كارتييه بريسون (من 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2021 إلى 21 شباط/ فبراير 2022)، الذي يضمّ 130 صورة نادرة لهذا الرائد في الفوتوغرافيا الفنية تسجّل لأهم أحداث العالم من 1926 إلى 1978؛ أحداث فريدة تمتدّ من أفريقيا المعشرنبات إلى تحرير باريس، مروراً بانتصار الشيوعيين الصينيين ومقتل غاندي وموت ستالين.

والحدث الآخر الذي كان نجم السنة الماضية أيضاً هو المعرض الفوتوغرافي المعنون بـ«أفريقيا في عيون مصوّريها: من مالك سيديبي إلى اليوم»، والذي جمع أهمّ المصوّرين الأفارقة من مواليد 1930 إلى 1990، أي مختلف الأجيال التي تعتبر مالك سيديبي أباها الروحي. فهذا المصوّر المالي (1936 ـ 2016) هو الذي أسّس الفنّ الفوتوغرافي الحقيقي في أفريقيا، ومعرضه الاستثنائي يجعل من الرباط محوراً ضارباً بجذوره في الأرض الأفريقية وفي العالم.

تتداخل الصور في رأسي وأنا أميل إلى شارع محمد الخامس متّجهاً نحو مطعم «لا ماما» الشهير. أضواء النيون الخضراء والحمراء والبيضاء والصفراء تتراقص في ليل العاصمة الدافئ. زخّات المطر والشوارع اللامعة وأشجار النخيل على جنبات الشارع تزيده جمالاً وغموضاً. حركة دائبة في الاتّجاهين معاً للمارّة، وأكثرهم من شبّان وشابّات في مقتبل العمر يلبسون كما في الأفلام الشبابية ويمشون ويضحكون ويتعانقون ويمازح بعضهم البعض. يضع بعضهم الكمامات وأغلبهم بدونها. في لحظة، تعتقد أن العالم لا يعاني من الجائحة وأن كلام الأطبّاء والمحلّلين مجرّد ثرثرة لا معنى لها. نحن أسوياء وأصحّاء وشباب ولا يهمّنا شيء في الحياة سوى الحياة. تتلاشى بسرعة هذه الأحلام الليلية أمام سيّارات الشرطة ورجال الأمن الساهرين أمام البرلمان وقرب ساحة البريد وغيرهما.

هنا، أعرّج على زنقة جانبية واصل إلى مطعم «لا ماما». أجد النادل الشاب الأسمر سفيان أحيّيه بحرارة لأنّني لم أره منذ بداية الجائحة. يرحّب بي أيضاً ويأخذني إلى مائدة أصدقائي. أحيّي بقبضتي (تحيّة الجائحة) صديقي المسرحي «ع» وصديقتي الكاتبة «ن». أنزع معطفي وأجلس:

- «لا باس عليكم».

- «بخير، كلّشي مزيان»، أجابا معاً.

المطعم ممتلئ عن آخره. الناس يأكلون ويدخّنون ويشربون بفرح كأنهم ينتقمون من الوباء الذي يحرمهم من السفر والتمتّع بالحياة. جاء سفيان لياخذ الطلبية: ثلاثة بيتزا: «لا ماما» و«فواكه بحر» و«الترويجية» «سيرا» ومياه معدنية ونبيذ مغربي.

دخلت الكاتبة «ن» مباشرة في موضوع «جائزة المغرب» لسنة 2021 التي ظهرت نتائجها اليوم: «جائزة المغرب لا تتغيّر. الوجوه نفسها واللجان نفسها. والوزارة لا تقوم بأي مجهود لدعم ثقافة الكتاب في مجتمع لا يقرأ». ضحكنا وأجبناها دفعة واحدة: «ألا تعتقدين أن هذا الموضوع يمكن أن يسدّ شهيّتنا واحتفالنا بنهاية السنة؟»؛ قالت بمكر: «لا. يمكن أن نتعشّى ونتحدّث في شؤون الثقافة في البلاد».

أضاف المسرحيّ «ع» وسفيان يضع المقبّلات

> هل يمكن لمثقفين مثلنا الا يجعلوا الحرّية غمّا فكرياً؟
>
> ركضنا كالاطفال ونحن نصرخ ضاحكين: الشعب يريد الثقافة

والمياه الطبيعية والنبيذ على المائدة، وهو يتذوّق النبيذ ويُعطي الإشارة للنادل: «ما أتاركِ في الجائزة هذه السنة هو المناصفة (في الشعر والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية والترجمة). هل وزارة الثقافة فقيرة وتريد أن تُرضي الجميع أم أن اللّجان بخيلة؟ ثم لماذا يقدّم أغلب الكتاب المغاربة لجوائز الخليج (أكثر من 700 كاتب وكاتبة) ولا يقدّم لجائزة الكتاب في المغرب سوى 192 مؤلّفاً؟». قلت مازحاً: «يبدو أن ليلتنا لن تمرّ على خير. لكن بالفعل جائزة الكتاب في المغرب لم تغيّر مرجعيّاتها الفكرية والعلمية والإبداعية منذ عقود».

تدخّل المسرحي «ع» وهو يُشعل سيجارته: «المسرح منذ انطلاق الجائحة يراوح مكانه. فرغم أن وزارة الثقافة خصّصت له دعماً استثنائياً سنة 2020 (أكثر من 19 مليون درهم خُصّصت لدعم 173 مشروعاً)، فهذا لا يكفي. والمشكل لا يكمن في التمويل فقط، بل في الرؤية الثقافية والمجتمعية لهذا الفنّ: أين مسرح الطيّب الصديقي؟ ومحمد مسكين؟ وعبد الكريم برشيد؟». قاطعته الكاتبة «ن»: «لا يمكن أن تقارن الماضي بالحاضر». أكمل كلامه: «أيّ ماضٍ وأيّ حاضر؟ الإبداع يتجاوز الزمن وإبداعنا اليوم ثقافة شاملة».

هنا اشتدّ النقاش وحضر النادل سفيان بالبيتزا، فانقضضنا عليها كأنّنا كنّا معتقلين منذ قرون في وباء لا نعرف اسمه. تكلّمت بعد القطعة الثانية من البيتزا: «ومع ذلك، فهذه السنة شاهدتْ مسرحيتين لا باس بهما». وافقتني الرأي الكاتبة «ن» وأضافت: «خذ مثلاً مسرحية «المدينة لي» لفرقة «أنفاس» التي مثّلت المغرب في «مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي» لهذه السنة ومسرحية نبيل لحلو، المخرج المسرحي والسينمائي المعروف، «السيّدة ذات المسدّس من عيار 45»...

رفع المسرحي يده معترضاً: «تعرفون أن الاستثناء يؤكّد القاعدة». انفجرنا ضحكاً. تساءلنا: «هل يمكن لمثقّفين مثلنا أن يتعشّوا في أجمل مطعم بيتزا في البلاد دون أن يقلبوا الحزّية غمّاً فكرياً؟». «مستحيل»، قالت الكاتبة «ن» ثم استدارت إلى المسرحي «ع»: «والسينما، ما رأيك فيها هذه السنة؟ ألم يعجبك ارفع صوتك لنبيل عيوش و«بورزنيغ كازابلانكا» لإسماعيل العراقي؟».

(شاعر من المغرب)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

سينما ضائعة

أجاب المسرحي «ع» مبتسما: «هذا النوع من السينما، لمخرجين ثقافتهم فرنكوفونية بالاساس، يطرح مشكلة هويّة السينما المغربية. نبيل عيوش يتحدّث عن شباب (شابّات بالاساس) يختارون غناء الراب في حيّ شعبيّ ليقطعوا مع الثقافة التقليدية «المتخلّفة». شارك الفيلم في مهرجان «كان» الفرنسي وتعرّض لنقد شديد. أمّا فيلم اسماعيل العراقي، فيتناول تمرّد الشباب بواسطة موسيقى الهارد روك! فيلم ضائع بين اسلوب تارانتينو والويسترن!».

امرأة تطلّ من نافذة مجاورة لجدارية للفنان عمر الحمزي في الرباط، أيلول/ سبتمبر الماضي (Getty)

تركيا

عودة تدريجية إلى الحياة الثقافية

خروجاً من الافتراضي

شهد 2021 عودة تدريجية للحياة الثقافية التركية، حرالّ يمتدّ من الكتاب إلى الفنون، مروراً بالسينما والمسرح والموسيقى

إسطنبول ـ **ملاك دينيز أوزدمير**

مقارنةً بعام 2020 الذي شهدت فيه تركيا ركوداً ثقافياً كبيراً تسبّبت به جائحة كورونا وأثّر سلباً على جميع الأنشطة الثقافية والفعاليات الفنية، فإنّ عام 2021 شهد انفراجة كبيرة في الحياة الثقافية بالبلد، وخصوصاً في النصف الثاني منه. فقد عاد أغلب الفعاليات الثقافية والفنية تدريجياً، ولكنْ مع تخفيض عدد الحضور. واعتباراً من اليوم الأوّل لافتتاح تلك الفعاليات، بدا الأتراك بملاؤن صالات الحفلات الموسيقية والمعارض الفنية وقاعات السينما ومعارض الكتاب. ورغم أنّ أغلب الأنشطة كانت مستمرّة خلال فترات الحظر، لكنّ عبر شبكة الإنترنت، فإنّ حضور الفعاليات بهذه الطريقة ليس أمراً معتاداً في تركيا.

ورغم عودة الحياة الفنية والثقافية في تركيا تدريجياً خلال 2021، فإنّ قطاعات كثيرة قد تضرّرت أيضاً بسبب فترة الإغلاق التي استمرّت حوالي 18 شهراً. ووفقاً للإحصاءات، فقد وصلت خسارات قطاع السينما في تركيا إلى 50%، إذ ظلّت دور الفنّ السابع مغلقة حتى الأول من تمّوز/ يوليو الماضي. وإلى جانب ذلك، رشّحت تركيا فيلم «الالتزام» للمخرج سميح كابلان أوغلو لتمثيلها في جوائز «أوسكار».

وكان الحدث الأهمّ في مجال السينما، العام الماضي، «مهرجان السينما المتجوّل» الذي تنظّمه «جمعية أنقرة السينمائية»، برعاية وزارة الثقافة والسياحة. وهو من أكثر المهرجانات التي تحظى باحتفاء شعبي كبير في تركيا كلّ عام. وقد أقيمت الدورة السادسة والعشرون من هذا المهرجان في أغلب المدن التركية. ويُظهر لنا هذا المهرجان المتجوّل، من خلال انتظار الكثيرين له كلّ عام، أن الفنّ لا ينبغي أن يقتصر على المدن الكبرى فقط، لأن أغلب الفعاليات الثقافية والفنية تُقام في المدن الكبرى فقط، ولا يستطيع أهالي الأناضول أن يشاركوا في حضورها.

ومن أبرز ما شهدت تركيا أيضاً في 2021 افتتاح الأماكن الثقافية والفنية المختلفة، ولعلّ أهمّها افتتاح «مركز أتاتورك الثقافي» في ميدان تقسيم المعروف بإسطنبول. وكان موضوع افتتاح هذا المركز أحد أبرز العناوين في الصحافة التركية خلال العام الماضي، إذ أثار نقاشات عديدة. فقد تمّ التخطيط لبنائه منذ الفترة الأولى للجمهورية التركية، واستغرق بناؤه عدّة سنوات بسبب نقص الميزانية، ولم يتم افتتاحه إلّا عام 1969، وقد أغلق لأكثر من مرّة، أخرها كان عام 2008 ولمدّة عشر سنوات، حتّى قررت الحكومة هدمه وبناء مركز جديد. وشهدت الأوساط الثقافية احتجاجات كبيرة ضدّ هذا القرار نظراً لتاريخية المكان، إلّا أنه هُدم أخيراً وتمّ افتتاحه من جديد في 2021.

وقد استضاف المركز العديد من الحفلات والمهرجانات والفعاليات الثقافية، أبرزها «مهرجان إسطنبول للموسيقى الشعبية»، الذي شهد حضوراً كبيراً، كما استضاف أيضاً «مهرجان إسطنبول الدولي للشعر» في دورته الثالثة عشرة، الذي يديره الشاعر التركي عدنان أوزار. وشارك في المهرجان ـ الذي استمرّ لستّة أيام ـ شعراءُ من تركيا وفلسطين ومصر والعراق وأذربيجان وجورجيا ومقدونيا، وجمعتهم أمسية خاصة تحت عنوان «أخوّة العود» مع عازف العود بيلين إشكتاش في كناية عن تمازج الإرثين العربي والتركي. بالإضافة إلى ذلك، أقيمت عدّة مهرجانات أدبية أخرى في مدن تركية مختلفة، مثل «مهرجان إزمير الأدبي»، الذي تنظّمه بلدية إزمير. وتمّ اختيار «ثقافة المتوسّط» عنواناً للدورة الخامسة منه، بمشاركة تركية وعربية، ومن أبرز الأسماء العربية المشاركة: الروائيّتان اللبنانية هدى بركات، والمصرية سلوى بكر. كما احتضنت اسطنبول «مهرجان الأسبوع الأسود للرواية البوليسية، وقد شارك في دورته السابعة الروائي أحمد أوميت والشاعر والناقد متين جالال، وشهد المهرجان العديد من الندوات حول الرواية البوليسية وتاريخها وراهنها في تركيا اليوم.

وإلى جانب المهرجانات الأدبية، أقيمت مهرجانات موسيقية عديدة في تركيا خلال العام الماضي، أهمّها «مهرجان إسطنبول الدولي للموسيقى» في دورته التاسعة والأربعين. ويعدّ هذا الحدث ـ الذي تنظمه «مؤسّسة إسطنبول للثقافة والفنون» ـ أبرز المهرجانات التي تقدّم الموسيقى الكلاسيكية في تركيا، إلى جانب موسيقى الجاز والبوب. كما أقيم في أنطاليا «مهرجان أسبيندوس» للأوبرا ورقص الباليه، برعاية وزارة الثقافة والسياحة. وفي ما يتعلّق بالمسرح، فقد شهدت تركيا، في العام الماضي، 25 عرضاً في «مهرجان إسطنبول المسرحي» (الدورة الخامسة والعشرون). كما شهد «مهرجان قرطاج الدولي للمسرح»، في نسخته الأخيرة، مشاركة تركية، إذ قدّم فريق «المديرية العامة للمسارح الحكومية» في أنقرة مسرحيةً بعنوان «مكتبة أبدية» لصباح الدين قدرت أكسال ومن إخراج مصطفى كورت.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> كتبٌ عديدة تُرجمت من العربية إلى التركية وبالعكس

قرب جامع «سنجقلار» في إسطنبول، نهاية أيلول/ سبتمبر الماضي (Getty)

السودان

ثقافة يحاصرها الاستبداد وتعرقلها الجائحة

إجهاض أحلامٍ ثورية

بعد عام قيّده القمع والإهمال والوباء، يعود المثقّفون السودانيون إلى الشارع احتجاجاً على الانقلاب الذي أطاح بمساعيهم لتطوير المشهد الثقافي

الخرطوم ـ **العربي الجديد**

في مشهد مفارق للعديد من البلدان العربية التي عرفت موجتيْن من الانتفاضات الشعبية مطلع العقد الماضي ونهايته، انخرط الكتّاب والفنانون السودانيون في الاحتجاجات التي اندلعت في بلادهم يوم التاسع عشر من ديسمبر/ كانون الأول 2018، في أطر منظّمة نقابياً ومن برامج ورؤى واضحة.

حوالى عشرين نقابة منها «تجمُّع التشكيليّين»، و«تجمُّع الدراميّين»، و«اتّحاد الكتّاب»، قدّمت إستراتيجية استندت إلى رؤية متقدّمة في فهم الديمقراطية التشاركية ودور الثقافة والفنون في تنمية المجتمع، وحماية حقوق أعضائها وحرّيتهم، وغيرها من العناوين التي تجاهلها النظام السابق ضمن سياساته التي همّشت الثقافة وشتّتت الفاعلين فيها في المنافي أو خلف جدران الصمت.

الآمال العريضة التي حكمت المزاج العام خلال العام الماضي أصطدمت باحتكار المؤسّسة العسكرية للسلطة وممارستها أعنف إقصاء لخصومها انتهى إلى انقلابها على «مجلس السيادة» الذي تشكّل عام 2019 عقب اتفاق بين المجلس العسكري الانتقالي وتحالف قوى إعلان الحرية والتغيير السوداني من أجل الإشراف على مرحلة الانتقال الديمقراطي، ليعود السودان إلى نقطة الصفر من جديد وتنطلق التظاهرات ضدّ الانقلابيّين، والتي تتواصل حتى اللحظة.

محاولات الدولة العميقة لإنهاء الحالة الثورية في البلاد تمّت مواجهتها بالرفض الشعبي خلافاً للانقلابات السابقة خلال العقود الستّة الماضية، إذ عبّر الأمين العام لـ«اتّحاد الكتاب السودانيين» نادر السماني عن معارضته لأيّ حكم عسكري يعيد السودانيين إلى الوراء، داعياً إلى احترام إرادة الجماهير التي تتوق إلى الحرية. وفي منتصف الشهر الماضي أصدر الاتّحاد بياناً افتتحه بالقول: «سُئل الجبل يوماً: لماذا تناطح بقمّتك السحاب؟ فأجاب: سلوا الوادي»، وسط حشد من التصريحات لمثقّفين دانوا فرض حالة الطوارئ، وختم البيان بالتأكيد بأنه «لا للدكتاتورية... لا لعودة الفلول... ولا للمحاور ونهب ثرواتنا... ثورة... ثورة حتى النصر».

وأنّهم «تجمّع المهنيّين السودانيين»، الذي يضمّ في عضويته عدداً من النقابات والروابط الثقافية، الأربعاء الفائت، أجهزة الأمن بتنفيذ حملة اعتقالات تستهدف أعضاءه، استباقاً لمسيرات مليونية دعت إليها القوى السياسية في جميع مدن وقرى السودان.

تطوّرات مستجدّة تأتي بعد عامين من التجاذب وشدّ الحبال مع المؤسّسة العسكرية التي أعاقت عمل معظم القطاعات الحكومية، ومنها وزارة الثقافة التي سعت خلال الفترة الماضية إلى تفعيل الكيانات الرسمية، وعلى رأسها «المجلس القومي للثقافة والآداب والفنون»، و«صندوق دعم المبدعين السودانيين»، و«مجلس حماية حقّ المؤلّف والحقوق المجاورة»، وهي كيانات كانت معطّلة طوال السنوات الماضية.

> عوّق المجلس العسكري أيّة خطط لتفعيل المؤسّسات الثقافية

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متظاهرون قرب القصر الرئاسي بالخرطوم، نهاية كانون الأول/ ديسمبر الماضي (Getty)

إضاءات

استُعيد الفنان التشكيلي والناقد والمؤرّخ الفنّي الفلسطيني **كمال بلّاطه** (1942-2019) في معرض أقيم في «غاليري بانكو» ببرلين، بين أيلول/سبتمبر و تشرين الثاني/ نوفمبر 2021 تحت عنوان **هندسة الضوء**. قدّم المعرض تجربة بلّاطه في ثلاثة مسارات رئيسية: تنظيره الفكري والتاريخ للفن و تطوير التقنيات.

في كانون الأوّل/ ديسمبر، أعلنت فرنسا عن قُرب رفع السرّية عن أرشيف التحقيقات القضائية حول حرب تحرير الجزائر (1954ـ1962). بحسب وزارة الثقافة الفرنسية، تهدف الخطوة ـ التي تأتي قبل 15 عاماً من انتهاء المهلة المعتادة ـ إلى إعادة بناء العلاقة مع الجزائر بناءً على الحقيقة، بينما نبّه باحثون جزائريون إلى خطورة التعامُل مع وثائق التحقيقات الامنية.

اطلق «معهد تونس للفلسفة» في تشرين الثاني/ نوفمبر 2021 دعوة لجمع مادة «بيبليوغرافيا الكتاب الفلسفي التونسي» التي من المنتظر ان تتضمّن عناوين الكتب الفلسفية للتونسيين والمطبوعة في تونس وخارجها منذ الاستقلال (1956) إلى اليوم. يشرف على المبادرة فتحي التريكي وايمان الجريدي ورشيدة السمين.

شهد 2021 إطلاق معرض كتاب عربي جديد، مع إقامة الدورة الاولى «معرض البصرة الدولي للكتاب» بتنظيم من «جمعية الناشرين والكتبيّين»، و«اتحاد الناشرين» و«اتحاد الكتّاب»، ووزارة الثقافة، و«مؤسّسة المدى» في شهر تشرين الاول/ اكتوبر. وكان مقرّرا ان يقام في بداية العام لكن الجائحة حالت دون ذلك.